

حول دراسة وحماية المخطوطات العربية في داغستان

د. حسين حاجي إبراهيم تيكاييف - رئيس قسم اللغة العربية وأدائها
مدير مركز دراسة اللغة العربية والثقافة الإسلامية بكلية الدراسات الشرقية
في جامعة داغستان الحكومية (روسيا الاتحادية).

يصل عدد المسلمين في روسيا إلى أكثر من عشرين مليون نسمة يتمركزون على وجه الخصوص في حوض الفولجا والقوقاز وسيبيريا. وينتمي معظم هؤلاء إلى المذهب الحنفي الشافعي من أهل السنة. وهناك بعض الشافعية يقطنون شمال القوقاز وكذا عدد من الطرق الصوفية. وقد شهدت روسيا الاتحادية حالة من النشاط الديني الإسلامي في العقدين الأخيرين.

وقد حافظت جمهورية داغستان على التقاليد والعادات الإسلامية وتتميز بذلك بين غيرها من الجمهوريات الإسلامية الأخرى في روسيا. يسكن فيها في الوقت الحاضر حوالى ثلاث ملايين نسمة. وهي إحدى الجمهوريات الكبيرة من جهة عدد السكان والمساحة في منطقة القفقاز الشمالية. وتتميز داغستان بكثرة القوميات التي تقطنها كما لا توجد بينها قومية طاغية أو مهيمنة. هناك 33 قومية أصيلة كبيرة بعدد السكان، وهي تسمى "شعوب الجبال الداغستانية"، مثل: الآفاريون، الدارغينيون، الليزغيون، اللاكيون، التاباسارانيون، الروتوليون، والأغوليون وآخرون. إلى جانب هذه الشعوب الأصيلة هناك شعوب أخرى، منها الروس، الشيشان، الأذربيجانيون وشعوب أخرى. وفي العصور الوسطى كانت اللغة المستخدمة بين سكان المناطق المعزولة في داغستان هي القومية، أما العلماء الداغستانيون فكانوا يتكلمون ويكتبون باللغة العربية. تتفاهم الشعوب الداغستانية فيما بينها في الوقت الحاضر عن طريق اللغة الروسية.

وكان للتحويلات الديمقراطية في روسيا أثرها الواضح على داغستان. ومن بين السمات الهامة التي تدل على حرية العقيدة إمكانية قيام أى مؤمن بشعائر الدينية ولا أدلّ على هذه الحرية من تمكن الداغستانيين من أداء فريضة الحج وبهذا العدد الكبير. وقد وصل عدد الحجاج من داغستان خلال العقد الأخير إلى أكثر من 100 ألف حاج. ويمثل هؤلاء أكثر من حجاج روسيا.

و بالعودة إلى التاريخ يمكن القول كما جاء في كتاب "تاريخ داغستان منذ أقدم العصور إلى نهاية القرن الخامس عشر" ان إقامة وارساء الخلافة الإسلامية مثل "حدثاً مهماً للغاية في تاريخ العالم وصفحة جديدة في حياة شعوب بلدان الشرقين الأدنى والأوسط، وقامت بدور مهم في تقرير مصائر شعوب القوقاز وخاصة في الجزء الشرقي منه" (1). وكان لذلك تأثير كبير أيضا على داغستان في أوائل القرون الوسطى في كافة مجالات الحياة: كالمجال السياسي والاجتماعي والاقتصادي والفكري. كانت مدينة ديربند (تسمى باللغة العربية - "باب الأبواب") من أكبر المدن في ذلك الوقت وكانت هذه المدينة بوابة الدخول الى مملكة داغستان وكانت في بداية القرن الثامن الميلادي جزءاً من الخلافة الإسلامية. وقد وصلت "مدينة ديربند في تلك الفترة إلى مصاف المدن

الكبرى في الخلافة من النواحي التجارية والمهنية والثقافية والزراعية ومن ناحية التأثير على المناطق المجاورة" (2). إحتفلت مدينة دربند منذ مئة بمرور 2000 سنة على تشييدها. تعتبر هذه المدينة أحد المراكز الهامة في شمال القوقاز لنشر الإسلام واللغة العربية وآدابها. وتشير المصادر التاريخية إلى ان دخول الإسلام بدأ مع قدوم العرب وإقامتهم فيها. وكما جاء في كتاب "تاريخ داغستان منذ أقدم العصور إلى نهاية القرن الخامس عشر" - "قدم بعض السكان من دمشق وحمص وفلسطين وسوريا والجزيرة وسكنوا في دربند" (3). كما كتب أيضاً المؤرخ العربي الشهير البلزوري (توفي في 892) في كتابه المشهور "فتوح البلدان": "في الربع الأول من القرن الثامن إستقر القائد الاموي مسلمة بن عبد الملك في مدينة باب الأبواب أربعة وعشرون ألفاً من سكان سوريا على شروط منح رواتبهم" (4).

وجاء في الكتاب نفسه ما يلي: "توقفت دربند وفي القرن العاشر عن حمل طابع المدينة العربية" (5). من الضروري أن نشير هنا إلى أن كل حكام داغستان المحليين بقوا في مناصبهم. يعود أصل حكام داغستان الإقطاعيين لأسلاف سلالات شخال ومايسوم وأوثي، اللذين ينحدرون من سلالة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم). ويستند علم الأنساب على هذه النظرية" (6). ويعارض كثير من العلماء هذا الطرح. وعلى أية حال من المستحيل إنكار حقيقة وجود العاصمة السابقة التي بقيت حتى الآن، وهي عاصمة إمارة قايتاغ الداغستانية، وإسمها "قلعة قريش"، التي أنشأت من قبل بعض العرب من قبيلة قريش. تؤكد وجود هذه النظرية المصادر التاريخية وخاصة المدونات التاريخية الداغستانية، بجانب - "تاريخ داغستان" الذي كتبه محمد رافي في القرن الرابع عشر حيث يتحدث فيه عن العرب الذين وصلوا إلى داغستان بعد العام 200 هجري. يقول الكتاب "جلس أمير شوفان (أمير تشوبان) وهو من سلالة النبي على عرش غزانفار بكل فخر وهو كان أول حاكم يحكم ولاية خيداق وقد بنى في خيداق عدداً كبيراً من القرى والمساكن وإختار مدينة قلعة قريش التي تقع على صخرة ضخمة فوق الثغر إلى جانب النهر مقراً له" (7). كانت دولة قلعة قريش إحدى المراكز الإيديولوجية والسياسية القديمة لولاية خايداق. وبقيت كعاصمة لهذه المملكة الكبيرة حتى القرن السادس عشر عندما صارت مدينة "مجالس" عاصمة للمحافظة. وقد لعب انضمام جزء من داغستان إلى الخلافة العربية وكذا حالة الاستقرار السياسي في داخل داغستان ومن ثم دخولها في مدار الحياة الاقتصادية والتجارية والثقافية للخلافة، دوراً هاماً في تطور كل مناحي الحياة. ان موقع داغستان المميز كان له أيضاً أهمية كبيرة حيث تقع على الطريق البحري والتجاري والبري الذي كان يصل جنوب شرق أوروبا مع القوقاز والشرق الأدنى دوراً في هذا الأمر.

وكما ذكرنا سابقاً عاش في القرنين التاسع والعاشر في داغستان (خاصة في مدينة دربند) عدد من السكان العرب وأصبح هذا من العوامل المهمة التي ساعدت في دخول الأدب العربي إلى داغستان. وقد ساعد هذا العامل في إنتشار الإسلام ليس فقط في الأراضي القريبة من المدينة بل وفي الأراضي الواقعة بعيداً عنها. عاش العرب في تجمعات متلاصقة، مما حافظ على الشكل العرقي لتجمعاتهم. علّم العرب السكان المحليين اللغة العربية وقراءة القرآن. وفتحوا في كل مكان في داغستان المدارس التي علموا فيها أيضاً اللغة العربية وقراءة القرآن. ولا يوجد شك في التأثير الهام للقران الكريم على تطور الأدب العربي. نقرأ في كتاب "المخطوطة العربية في داغستان" أن "اللغة العربية

والإسلام والأدب الإسلامي - كانت ثلاثة عوامل مهمة في قوة وأصاله الحياة الثقافية في العالم الإسلامي وفي داغستان" (8).

وقد لعبت داغستان دوراً محورياً في انتشار ثقافة المخطوطة العربية ضمن حدود الخلافة العربية، كما لعبت دوراً هاماً في العلاقات التجارية والإقتصادية والثقافية مع بلدان الشرق الأوسط والأدنى. بالإضافة إلى ذلك كان كثير من مواطني داغستان في تلك الفترة يدرسون ويدرسون في العديد من مدن الشرق الأوسط والأدنى. بداية من قرون السابع وحتى الثالث عشر، كما هو معروف، كانت تتزايد أهمية للمدن شرق أوسطية. أضيفت إلى المدينة المنورة ومكة المكرمة ودمشق والكوفة والبصرة المدن من المناطق الشرقية مع جميع تنامي هبة، مع مفرزة كبيرة من العلماء مسلم، من بينهم كان، بطبيعة الحال، مدينة بغداد، العاصمة، لتكون مركزاً إدارياً. أنها أصبحت خلال فترة قصيرة مركزاً رئيسياً في الحياة الثقافية والأيدولوجية للخلافة العربية، ومركزاً للحياة الفكرية. يتم تحديد المستوى الفكري للمجتمع إلى حد كبير من قبل ظهور المدارس الدينية والمراكز التعليمية. في بغداد في سنوات 1064-1066 بني الوزير نظام الملك المدرسة الدينية، وردت على الفور في جميع أنحاء العالم شهرة. كان اسم المدرسة الدينية - "النظامية" تكريماً لمؤسسها، وأصبح معياراً للمدارس الأخرى. وقد وردت في هذا الكتاب إشارات إلى أنه "كان يدور حوار تاريخي ثقافي بين مدينتي الشرق الإسلامي في القرون الوسطى عاصمة الخلافة بغداد والعاصمة دربند" (9). درس الكثير من أهالي داغستان في أعظم مدرسة إسلامية في الشرق "المدرسة النظامية". وقد استمر ذلك بفضل انتشار المخطوطات - الثقافية، وخاصة المخطوطات التي لها علاقة بمدرسة بغداد وتوابعها. وقد رأينا نتائج ذلك في صدور مجموعة من الكتب الداغستانية. وتميّزت المخطوطات في داغستان فيما بعد بالعمومية والشمولية وقد شملت مختلف صنوف الكتب.

- تضمنت المجموعة الأولى من المخطوطات خارج حدود داغستان في بلدان الشرق الأوسط والأدنى وقد وصلت إلى داغستان على مدى عصور متعددة.
- تضمنت المجموعة الثانية نسخ المخطوطات من قبل كُتّاب داغستانيين. كتب حاجي حمزاتوف في كتابه "داغستان. العملية التاريخية الأدبية" - "كان الكُتّاب المحترفون المهرة في الخط العربي يعملون في القرون الوسطى في عدة قرى داغستانية في قرية آقوشا وكوباتشي وكوموخ وخونزاخ وسوغراتل وإيخراك وباشلي وإنديري وآخرين" (10). ولا توجد منطقة لم تشارك في نشر اللغة العربية وآدابها. وهناك بين هذه القرى قري خاصة، شاركت في عمليات النسخ الجماعي للكتب المخطوطة. ونذكر منها - قرى كموخ وآقوشا وزريخ كيران. حيث تمت إعادة كتابة الكتاب، وخصوصاً الكتب الكبيرة، والكتابة اليدوية الجميلة على نحو سلس، من دون خطأ، مع نفس عدد الأسطر في الصفحة، وتقع على مسافة واحدة من بعضهم البعض. ويتم مكافأه الناسخ بشكل جيد. ان إعادة نسخ الكتاب كانت تستغرق وقتاً طويلاً وكان الكتاب يستغرق من أسبوع إلى عدة أسابيع. ويتوفر في صندوق المخطوطات الشرقية بمعهد التاريخ والآثار والإثنوغرافيا التابع للمركز العلمي الداغستاني المتفرع عن أكاديمية العلوم الروسية أكثر من 75 مخطوطة من نوع القواعد التعليمية للغة العربية، وكتبها وقام بنسخها الشاعر الشهير والباحث عبد الرحمن جامي (1414-1492). ويتمتع هذا الكتاب

بشعبية واسعة بين أولئك الذين درسوا اللغة العربية وأجري هذا الكتاب من تعليم اللغة العربية في الكثير من المدارس الدينية في داغستان. كل هذه النسخ لعبد الرحمن جامي تعرف وتشتهر على نطاق واسع في الشرق، وقد تمت إعادة نسخها في داغستان. ومن المعروف أن العلامة الشهير الداغستاني محمد القدوقي (1652-1717) أعاد كتابة المخطوطات 300 نسخة شخصياً. ويعتبر القرآن الكريم أكثر الكتب التي يعاد نسخها في داغستان حيث ينسخ منه بكميات ضخمة. ويعتبر من الواجبات على كل مسلم أن يعيد نسخ هذا الكتاب المقدس ولو مرة واحدة في العمر.

● وأخيراً المجموعة الثالثة، وهي المؤلفات الأصلية المكتوبة من قبل مؤلفين داغستانيين (وقد كتبت بغالبيتها باللغة العربية). وكان يعتبر في فترة طويلة أن السلطة السوفيتية هي التي منحت الشعوب في داغستان ثقافة الكتابة ونفى الحزب وجود أي تراث داغستاني مكتوب باللغة العربية. وينقسم الأدب الداغستاني متعدد القوميات والمكتوب باللغتين العربية والأعجمية إلى "مدونات تاريخية وقواميس وكتب دينية تعليمية وخطب إسلامية ومذكرات...". وقد عوملت الكتب العربية بتجاهل تام إلى أن قام الباحث الداغستاني في الدراسات الشرقية - م. سيدوف بكتابة بحثه في عام 1960 م "الأدب الداغستاني باللغة العربية في القرنين 18-19". حيث تم عرض الأدب الداغستاني المكتوب باللغة العربية على اتساع موضوعاته وتنوعه (الفقه - الشعر - الصرف - النحو - الطب - الرياضيات - الفلك - علم المنطق - تصوف - علم الأخلاق - المكاتب العملية والشخصية) أمام علماء العالم وقد قام هذا الباحث بتحليل أعمال ومؤلفات أكثر من 100 أديب داغستاني حيث قام بجمع مؤلفاتهم وصنفها وقام بتحليلها. كما قام بالعديد من الرحلات العلمية في مناطق داغستان المختلفة بحث فيها عن المخطوطات النادرة. وكان من نتائج هذه الرحلات جمع أكثر من 3000 مخطوطة تعود أقدمها إلى القرن الثاني عشر. كما تم جمع أكثر من 6000 وثيقة ورسالة تعود لعلماء داغستانيين ويتحدث عن التراث القانوني والمراسلات بين الحكام الإقطاعيين والمجتمعات الريفية. وقد تم نشر مجمل جهود هذا العالم مع علماء مركز داغستان في الدراسات الشرقية في كتاب صدر في 1977 م في موسكو عن دار النشر "العلم" تحت عنوان "كتالوج المخطوطات الشرقية". تم توصيف 108 مخطوطة عربية فقط من التراث الثري للمخطوطات. المخطوطات تعود إلى فترات زمنية مختلفة بدءاً من القرن الخامس عشر وحتى النصف الأول من القرن العشرين. وقد تم إصدار عدد 2 كتالوج آخرين وهما:

- كتالوج المكتبة العلمية لجامعة داغستان الحكومية (الذي يضم توصيف 800 مخطوطة ترجع إلى الفترة من القرن الخامس عشر وحتى التاسع عشر) الذي صدر في عاصمة داغستان - محج قلعة في عام 2004 م.
- وكتالوج العالم الداغستاني محمد سعيد سعيدوف (1902-1985) الذي صدر في محج قلعة في عام 2005 م. ويضم أكثر من 100 مخطوطة عربية نادرة و 600 خطاب ووثيقة باللغة العربية وأكثر من 3500 كتاب مطبوع بلغات العالم المختلفة. المخطوطات تعود إلى فترات زمنية مختلفة بدءاً من القرن الخامس عشر وحتى النصف الأول من القرن العشرين وقد تم نقل المجموعة كلها إلى معهد التاريخ والآثار والإثنوغرافيا التابع للمركز العلمي الداغستاني المتفرع عن أكاديمية العلوم الروسية.

ويوجد في داغستان أيضاً أكثر من 500-600 مجموعة لم يتم وصفها أو دراستها بعد ومنها ما هو حكومي وما هو ينتمي إلى الأشخاص أو المساجد.

وننتقل الآن إلى أكبر صندوق للمخطوطات العربية في داغستان - رصيد المخطوطات الشرقية بمعهد التاريخ والآثار والإثنوغرافيا التابع للمركز العلمي الداغستاني المتفرع عن أكاديمية العلوم الروسية: أنشئ رصيد المخطوطات الشرقية في عام 1945 على أساس من المخطوطات والوثائق من معهد الثقافة الوطنية والمتحف الإقليمي الداغستاني، وكان عددها ضئيلاً جداً آنذاك. منذ عام 1948 يزداد رصيد المخطوطات بانتظام عن طريق عمليات الشراء أثناء الرحلات العلمية السنوية في مناطق داغستان المختلفة، وكذلك عن طريق جمع الصور حسب المواضيع حول داغستان المستمدة من مختلف أرشيفات الجمهورية وخارجها. ولم يجري استطلاع لكامل المخطوطات أو حساب ما هو متوفر منها هناك. ويواجه العمل على توصيف المخطوطات بعض المصاعب ومنها عدم توفر عنوان للمخطوطة، ولا صحائف أولية، أو اختفاء أجزاء من النص مما يعيق من تحديدها ووصفها بشكل دقيق. وقد تم وصف وإعداد الكتالوجات بأكملها اعتماداً على الخبرات العالمية وعلى النحو التالي:

- يكتب في البداية رقم التوصيف
- يعقبه عدد من البيانات الفنية (يكتب في جهة اليسار الرمز والقطع، وعدد الورقات وعدد الأسطر).
- ثم يأتي بعد ذلك عنوان المخطوطة
- وإسم المؤلف (باللغة العربية مع إيراد التدوين الصوتي لهذا العنوان)
- ويأتي بعد ذلك وصف موجز لهذه المخطوطة
- ثم إسم الناسخ
- وتاريخ النسخ
- وتذكر في الكتالوج بوجه الخاص أعمال المدارس المحلية وإسهامات الأساتذة الذين أسسوا المدارس التعليمية الإسلامية في المنطقة ومن قاموا بالتدريس فيها. ويراعي التوصيف الفني للكتالوج ما يلي:
- نوع الورق
- والخط
- والحبر
- والغلاف
- ووجود ترقيم للصفحات من عدمه ووجود عيوب في المخطوطة.
- وتولى أهمية كبيرة لأية كتابات مدونة خارج النص:
- كالحواشي
- والحشوات المدونة على الهوامش أو بين السطور
- وكذلك قائمة بالمؤلفين الذين تم الاقتباس

- من أعمالهم والحواشي التي دوّنها صاحب المخطوطة للإفادة بأنه قرأها أو لمن أهداها وما يُشير إلى إقتناء أو بيع هذه المخطوطة
- ومكان الإقتناء وحصر
- عدد الكتب الموجودة في بعض المقتنيات الخاصة

وكان استكمال مجموعة مقتنيات المخطوطات يتم بصفة أساسية من خلال المصادر الثلاثة التالية:

1. المساجد المعطلة وغيرها من أماكن العبادة (كالأضرحة والمزارات).

لم تحظي هذه المقتنيات بطريقة حفظ صحيحة بل كانت طريقة الحفظ تتسم بالفوضوية والعشوائية. وعادة ما تحفظ في مكتبة منفصلة مهدها. (وعادة ما يكون عدد الكتب قليل يتراوح من 5 نسخ إلى 20 نسخة). وعلى سبيل مثال كانت بعثة تدوين المخطوطات الأثرية تتخير المخطوطات على أساس أثريتها وتاريخها. ولم يتكون رصيد المخطوطات الشرقية التابع للمركز العلمي الداغستاني المتفرع عن أكاديمية العلوم الروسية بالكامل إلا خلال العقود الأربعة أو الخمسة الأخيرة. وجميع هذه المخطوطات تقريباً كتبت باللغة العربية ولكن هناك عدد ضئيل للغاية من المخطوطات مكتوبة باللغة الداغستانية. لو لم تحظ هذه المجموعة حتى الآن بالدراسة أو التصنيف. وفي غرف كثيرة من المساجد المعطلة، والتي كانت تستخدم حتى وقت قريب بمثابة مخازن مزرعة جماعية، تم تخصيص ركن مستقل في مكتبات المساجد السابقة أو بقايا مكتبات خاصة من المخطوطات التي كانت عند أفراد الذين كانوا يعرفون اللغة العربية ويستخدمونها والمخطوطات ما زالت بعد وفاتهم في عائلتهم باعتبارها من الإرث. وتقدم بعض هذه المخطوطات باعتبارها وفقاً إلى المسجد، حيث يضمن ذلك بقاءها كوقف مهم تابع للمسجد. لا يزال تقديس خاص للخط والنص العربي في داغستان. بطبيعة الحال، لا يمارس في الحسبان هذا الأدب كما حماية المخطوطات كان معناه في تخزين و"توفير" مبانيتها؛ المخطوطات يمكن أن تكون أكوام من الورق المتربة، والتي لا تلمس يد الإنسان على مدى عقود. كان عدد المخطوطات في تزايد مستمر في مثل هذه المباني بسبب المزيد والمزيد من الدخول من الأفراد الذين كانوا يعتقدون هذا العمل لارضاء الله. غالباً أبقى المخطوطات منفصلة وتستمر الآن تعقد في المباني التي اقيمت على قبور الشخصيات المميزة للتعليم له، و"القداسة" وأعمال بطولية، وكذلك في الأماكن النائية - في الكهوف، على سبيل المثال، في قرى كارا كوري، وأرتا ستال، وأخطي، وخنوف، وتساخور، وأوراري، وظريخ، وكوباتشي، وإتساري، وتبيغ، وتشيراغ، وريتشاء، وزبوتل، وييرسي، وإيغالي، وميجاخ، ومازاه، وفييا، وسيرطيتش قديم، وتيديب وإلخ.. تم بعثة تدوين المخطوطات الأثرية لمعهد التاريخ والآثار والإثنوغرافية بالمركز العلمي الداغستاني المتفرع عن أكاديمية العلوم السوفياتية شراء كثير من المخطوطات، التي كانت في بناء المساجد والأضرحة السابق أو في هياكل القبور المختلفة. تجمع هذا النوع من "المجموعات" بشكل عفوي، عن طريق الصدفة، ودمجها مع مكتبة منفصلة (كمية ضئيلة من الكتب عادة - في الفترة من 5 عينات يصل إلى 20 نسخة). المنقولة للتخزين. تمت بعثة تدوين المخطوطات الأثرية اختيار لمجموعات المخطوطات أكثر أو أقل أهمية، مع مواقف الأثرية والمقتنيات التراثية والتاريخية للمخطوطة. ولم يتم إجراء توصيف للمجموعة. لم تُدرس حتى يومنا هذا كل المجموعات المماثلة من المخطوطات.

2. مجموعات المخطوطات التابعة للمساجد التي تفتح أبواب للمصلين في الوقت الحالي.

تحتل هذه المجموعات من حيث العدد المركز الثاني (بعد المجموعات الأهلية) وهي في الأساس عبارة عن مخطوطات وقفها المسلمون. وفي الوقت الحالي تعتبر مخطوطات القرآن المطروحة للإطلاع الجانب الأكثر حماية من المخطوطات والتي لا غنى عنها. أما الجانب الآخر من مكتبة المسجد فهو محمي للغاية أيضاً إلا أن كتبه لا تزال لا تجد من يستخدمها تقريباً. وهي غير محصورة مثلها مثل مخطوطات المساجد المغلقة أى أن عددها الإجمالي ليس معروفاً دائماً. وفي كثير من مساجد داغستان يبلغ عدد المخطوطات في وقت الحالي من 100 إلى 200 نسخة. وقد قامت بعثة تدوين المخطوطات الأثرية بإعداد توصيف موجز لمكتبات المساجد في داغستان وهي تواصل هذا العمل في الوقت الحالي.

3. المجموعات الأهلية.

تعد هذه المجموعات الأكثر عددا والأفضل من حيث الحالة كما تعتبر الجزء الأعلى قيمة وأهمية بين كل المجموعات التراثية الداغستانية. ومن الصعب تحديد إجمالي عدد هذه المقتنيات الأهلية من المخطوطات. وقد أسفر العمل المدقق للباحثين في قسم الدراسات الشرقية تابع لمعهد التاريخ والأثار والإثنوغرافية بالمركز العلمي الداغستاني المتفرع عن أكاديمية العلوم الروسية عن تدوين حوالى 300 مكتبة أهلية. ويشكل الرصيد الإجمالي لهذه المكتبات من 10 إلى 15 ألف مخطوطة تقريباً. تحتل النصوص الشعرية مكانة هامة وخاصة أعمال المؤلفين من داغستان (اللغات الداغستانية في الغالب)، وكذلك النصوص التاريخية، وهناك أيضاً النصوص المحلية والمعاجم ونصوص في الحقوق والقانون. وأحيانا نجد مكتبة أهلية تتوفر على أكثر من 200 مخطوطة مهمة للغاية. ولم يكن هناك حرص على اقتناء المخطوطات إذا لم تحتوى قيمة فنية أو إذا كانت منسوخة في القرنين 19-20.

لم تتم دراسة وبحث كل رصيد المخطوطات الشرقية، وتم توصيف جزء صغير منها في "كتالوج المخطوطات العربية". يجب أن نشير هنا إلى أن تجهيز وإصدار الكاتالوجات في داغستان قد تم منذ فترة ليست بالبعيدة، ولم تُدرس المخطوطات حتى الآن بشكل كامل، ولم يتم حصرها عملياً. رافقت عملية وصف المخطوطات بعض الصعوبات حيث افتقدت إلى المعالجة المسبقة أو الفحوص الأولية. افتقدت كثير من المخطوطات إلى الاسم وصفحات البداية وأجزاء من النص وتمثل مثل هذه المخطوطات تعادل نصف ما هو موجود في جامعة داغستان الحكومية. هناك المشاكل المرتبطة بحفظ وحفظ هذه المخطوطات. هذا، على سبيل المثال، وعدم وجود المرافق المناسبة والوسائل التقنية. تحتاج الكتب المعالجة. إعطاء هذه المخطوطات القديمة في اليد وهذا خطير جداً، لذلك هم بحاجة لمسح وليس مجرد الماسح الضوئي العادي والمعدات ذات التقنية العالية، والتي تكلف المال الكثير.

موضوعات المخطوطات المحفوظة في صندوق المخطوطات الشرقية.

1. قواعد اللغة العربية (عدد المخطوطات - 684 نسخة). وقد تم توصيف وتحديد عدد المخطوطات ضمن هذه المجموعة ، تحديد عناصر روعتها وجمالياتها وحالة المخطوطات واغلفتها وذكر اسم المؤلف وتاريخ المخطوطة

- ومكان الكتابة أو نسخها من طرف الناسخين الداغستانيين. توصيف إنتشار مخطوطات هذا الموضوع. وجود الشرح للمخطوطة.
2. البلاغة. إستخدام مخطوطات هذا الموضوع ليس فقط كمصادر علمية بل ككتب مدرسية في المدارس الداغستانية.
3. الشريعة الإسلامية (450 مخطوطة). إنتشار مخطوطات مختلفة المذاهب (أكثريتها عن المذهب الشافعي). توصيف شروح لمخطوطات الشريعة الإسلامية. توصيف الكتب المنشورة في "دار نشر الكتب" لمُؤرّيف في المدينة تيميرخان شوره (حالياً - بوينكسك).
4. القرآن وعلومه. (195 مخطوطة). أقدم نسخ المجموعة - القرآن الكريم من القرن الثاني عشر والثالث عشر. ويوجد في صندوق المخطوطات الشرقية الكثير من تفاسير القرآن الكريم. (مثلا تفسير البيضاوي والتبري والسيوطي وإلخ).
5. الأحاديث. (84 مخطوطة). صحيح البخاري وصحيح مسلم النيسابوري. يوجد في صندوق المخطوطات الشرقية شروح العلماء الداغستانيين لمجموعات الأحاديث المشهورة في جميع الأقطار الإسلامية.
6. المنطق والفلسفة. (148 مخطوطة). يوجد في صندوق المخطوطات الشرقية كثير من آثار المنطق وبينها "الرسالة القطبية" لتتناوي ولالأخدري.
7. الجُمُود العقائدي والتصوف. مخطوطات الغزلي وبينها - "إحياء علوم الدين". مخطوطات الدوّاني والشعراني والسخروردي وابن العربي الأندلسي وإلخ.
8. الشعر والأدب. (52 مخطوطة). مقامات الحريري، وكليلة ودمنّة. ديوان حافظ الشيرازي، ومؤلفات الأخرى للمؤلفين الداغستانيين.
9. المعاجم (صناعة المعاجم - 22 مخطوطة). توجد في رصيد المخطوطات الشرقية أقدم وأثمن المخطوطات. وبينها "قاموس المحيط والكابوس الوسيط" لافيروزابادي ومؤلفات الزمخشري والقواميس المختلفة.
10. الرياضيات وعلم الفلك، (40 مخطوطة)، وبينها مؤلفات السمرقندي والبغدادى و"شرح مقدمة زج أولوغبيك".
11. الطب، (10 - مخطوطات)، توجد في رصيد المخطوطات الشرقية قطعة من مؤلفة أبو علي ابن سينا "قانون في علوم الطب".
12. التاريخ. يتوفر في صندوق المخطوطات الشرقية قليل من المخطوطات التاريخية وبينها عدة صفحات مؤلفة "كتاب التبري" لمؤرخ العربي المشهور التبري. ويرجع السبب في ذلك إلى نقل المخطوطات التاريخية من صندوق المخطوطات الشرقية إلى الأرشيف العلمي الخاص بمعهد التاريخ والآثار والإثنوغرافيا التابع إلى المركز العلمي الداغستاني المتفرع عن أكاديمية العلوم الروسية. ويتوفر في صندوق المخطوطات الشرقية كثير من مخطوطات الكتاب الداغستانيين.

ان التعرف على مجموعة المخطوطات في داغستان يؤكد ان هناك المزيد منها وانها انتشرت على نطاق اوسع مما هو متصور حالياً. وهذا مما يؤكد أيضاً أن أثار الثقافة المكتوبة باللغة العربية تتركز بدرجة عالية وبشكل غير عادي في أراضي داغستان في القرون الوسطى. وهذا مما يؤكد أيضاً وبما لا يدع مجالاً للشك أن اللغة العربية إنتشرت على نطاق واسع في هذه الجمهورية في تلك الأونة.

ولما كانت اللغة العربية والإسلام أحد مكونات ثقافة الشعوب الداغستانية كان لهما عظيم الاثر في تشكيل التراث الأدبي المكتوب وتعليم والصفات الأخلاقية. كما وتؤكد الكتب الصادرة فيما بعد مدى الانتشار الواسع للغة العربية، وأهمية الدور الذي لعبته في الحياة الاجتماعية والسياسية في داغستان. لم يقتصر الأمر على إصدار كتب كثيرة صادرة باللغة العربية في دور النشر الداغستانية، بل تجاوز ذلك إلى إصدار منشورات دورية، مثل "الصحيفة الإسلامية" 1912 - 1914، وصحيفة "جريدة داغستان" - 1913-1918، وتعتبر هذه الصحيفة الأشهر والأكثر تقديراً من قبل النخبة المثقفة الناطقة بالعربية في شمال القوقاز.

في الختام، تجدر الإشارة إلى أنه في داغستان هناك الكثير من الاهتمام بحفظ تراثها الثقافي الغني. والدليل على ذلك هو العمل العظيم لصندوق المخطوطات الشرقية تابع لمعهد التاريخ والأثار والإثنوغرافية بالمركز العلمي الداغستاني المتفرع عن اكااديمية العلوم الروسية في جمع وحفظ وإدخال حيز التداول العلمي الثقافة المكتوبة التي تظهر الاتصالات ثقافية كبيرة مع دول شمال القوقاز والبلدان الإسلامية. وهنا تجدر الإشارة إلى الاتصالات المستمرة و المتبادلة بين ممثلي الطبقة المثقفة في كل من داغستان والشرق الأوسط وآسيا الوسطى في مجال العلم والتعليم، ان التعرف على نظام التعليم وثقافة الكتاب في داغستان في القرون الوسطى يظهر دور وقيمة المدارس وغيرها في التربية الإسلامية، وتكشف عن ظاهرة داغستان بوصفها أكبر منارات الثقافة في العالم الإسلامي.

مصادر البحث:

1. Гаджиев М.Г., Давудов О.М., Шихсаидов А.Р. История Дагестана с древнейших времён до конца XV в. / Институт Истории, археологии и этнографии Дагестанского научного центра РАН. – Махачкала: ДНЦ РАН, 1996 г. – С.195.
2. Гаджиев М.Г., Давудов О.М., Шихсаидов А.Р. История Дагестана с древнейших времён до конца XV в. / Институт Истории, археологии и этнографии Дагестанского научного центра РАН. – Махачкала: ДНЦ РАН, 1996 г. – С.214.
3. Гаджиев М.Г., Давудов О.М., Шихсаидов А.Р. История Дагестана с древнейших времён до конца XV в. / Институт Истории, археологии и этнографии Дагестанского научного центра РАН. – Махачкала: ДНЦ РАН, 1996 г. – С.211.
4. Liber expugnationis regionum auctore Imamo Ahmed ibn Jahja ibn Djarir al-Beladsori. Ed. M.J. de Goeje. Lugduni Batavorum. 1866. P. 210
5. Гаджиев М.Г., Давудов О.М., Шихсаидов А.Р. История Дагестана с древнейших времён до конца XV в. / Институт Истории, археологии и этнографии Дагестанского научного центра РАН. – Махачкала: ДНЦ РАН, 1996 г. – С.222.
6. Гаджиев М.Г., Давудов О.М., Шихсаидов А.Р. История Дагестана с древнейших времён до конца XV в. / Институт Истории, археологии и этнографии Дагестанского научного центра РАН. – Махачкала: ДНЦ РАН, 1996 г. – С.213.
7. Шихсаидов А.Р. Дагестанская историческая хроника «Тарих Дагестан» Мухаммада Рафи//Письменные памятники Востока. 1972., М., 1977. С.108
8. Шихсаидов А.Р., Тагирова Н.А., Гаджиева Д.Х. «Арабская рукописная книга в Дагестане». ГУП «Дагестанское книжное издательство». Махачкала 2001. С.9.
9. Шихсаидов А.Р., Тагирова Н.А., Гаджиева Д.Х. «Арабская рукописная книга в Дагестане». ГУП «Дагестанское книжное издательство». Махачкала 2001. С.16.
10. Гамзатов Г.Г. «Дагестан. Историко-литературный процесс». Махачкала, 1990. 226 стр.